حوت : (نون)

جاء اسم (حوت) في القرآن الكريم خمس مرات ، وقد تنوّع الحديث عن الحوت في القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع ، فجاء الحديث عن الحوت الذي كان طعامًا لموسى عليه السلام وفتاه ، وعن الحوت الذي التقم يونس عليه السلام ، وعن الحيتان التي كانت تأتي يوم السبت شرعًا أمام القرية حاضرة البحر ، وفى دراسة مواضع هذه الأنواع نلاحظ اللزوم الدلالي لاسم (حوت) وذلك كما يلي:

أولاً: حوت موسى عليه السلام :

حيث جاء اسم (حوت) مرتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف:٦١-٦٣]، وقد كان هذا الحوت طعامًا لموسى عليه السلام وفتاه ، وقد نسي كل منهما هذا الطعام في مكان ما تجاوزاه ، وهو ما دفعهما إلى الرجوع إلى هذا المكان ، وقد كان وراء هذا الرجوع غرض آخر أراده الله تعالى ، وقد أفصح عنه موسى عليه السلام عندما قال: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف:٦٤]، حيث كان رجوع موسى عليه السلام إلى هذا المكان سببًا في لقائه بالخضر عليه السلام وجرت بينهما القصة المذكورة في سورة الكهف ، والتي ظهر فيها عدم استطاعة موسى عليه السلام تحمُّل الصبر الذي يمكنه من متابعة رفقة الخضر عليه السلام ، والآيات صرحت بذلك عدّة مرات إذ يقول الخضر لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الكهف:٦٧]، وكذلك في الآيات (٧٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٢) وغيرها من الآيات التي تؤكد على أن موسى عليه السلام لم يستطع تحمّل مزيد من الصبر ، وهو ماجاء في الحديث الشريف في قول رسول الله ﷺ : ((يرحم

الله موسى ، لوددنا لو صبر حتى يقصّ علينا من أمرهما))[1] وهذا ما يدل دلالة واضحة على عدم تحمّل موسى لمزيدٍ من الصبر ، ولابد أن يشار إلى أن عدم تحمّل هذا النبي الكريم لمزيدٍ من الصبر كان وراءه دافع قوي ، وهو غيرته الشديدة على حدود الله تعالى ، فقد كان يتعجب ويستنكر أفعالاً في ظاهرها معصية لله تعالى .

ودلالة نفاد صبر موسى عليه السلام ليست فقط دلالة صريحة في السياق الذي ورد فيه اسم (حوت) وكان نسيان الحوت سببًا في حدوث هذا اللقاء الذي ظهرت فيه هذه الدلالة ؛ وإنما أيضًا نجد دلالة تحمّل الصبر تفسِّرُ الغرض من أن يكون نسيان الحوت والعودة ثانية في سبيل البحر سببًا في لقاء الخضر ، إذ كان من الممكن أن يحدث لقاء موسى مع الخضر عليهما السلام دون الحاجة للعودة في طريق أمضى فيه موسى وقته ، ولكن كان هذا الرجوع وتحمّل المشقة تعليمًا من الله تعالى لموسى عليه السلام الصبر ، وقد كان موسى عليه السلام صابرًا في سبيل تحصيل العلم والخير ، فما حدث من ارتداد موسى عليه السلام وفتاه في البحر فيه دلالة على صبر موسى عليه السلام ، لتوضّح الآيات بعدها دلالة نفاد صبره عليه السلام ، فلم يتحمّل اتباع عبدٍ آتاه الله تعالى علمًا من لدنه ، فكانت عاقبة نفاد صبر موسى عليه السلام أن فقد رفقة الخضر والتعلم من عِلْمه ، وكان موسى عليه السلام مُلومًا في ذلك من الخضر ، وإن كان نفاد صبره لدافع قوي لم يستطع تحمله.

ثانيًا : حوت يونس عليه السلام :

وقد جاء اسم (حوت) للحوت الذي التقم يونس عليه السلام مرتين ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الصافات:١٣٩-١٤٢]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [القلم:٤٨]، وهذه الآيات التي تتحدث عن قصة يونس عليه السلام تحمل دلالة على

---

(١) البخاري، صحيح البخاري ، ٢٥٥/٣ (٤٧٢٥) ومسلم ، صحيح مسلم ، ١٣٥/٨ (٢٣٨٠)

نفاد صبر يونس عليه السلام ، فالآيات تأمر بالصبر ، وتنهى عن فقدانه مثلما حدث من يونس عليه السلام ، وقد كان لنفاد صبره دافع قوي ، وهو إصرار قومه على الكفر ، فلم يتحمّل البقاء معهم وهم على عنادٍ وكفر جلب عليهم العذاب الشديد كما يقول تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس:٩٨]، ومع ذلك كان نفاد صبره ملومًا ، فالآيات تصفه بأنه مليم ، يقول الزمخشري: ((أي داخل في الملامة))[1] وقد مكث يونس عليه السلام في بطن الحوت عدة أيام ليعلمه الله تعالى الصبر وأن كل شيء عنده بمقدار ، وليدرك خطأه في نفاد صبره .

ثالثًا: حيتان يوم السبت :

وجاء اسم (حوت) مجموعًا وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٣]، وتتحدث سورة الأعراف عن النعم التي أنعمها الله تعالى على بني إسرائيل لما صبروا في أول الأمر ، يقول تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ثم تتوالى الآيات لتتحدث عن المخالفات التي فعلها بنو إسرائيل مع نعم الله تعالى عليهم المتتالية كالمنّ والسلوى، وهو ما يُذكّر بعدم صبرهم حتى على هذه النعم فسألوا ما هو أدنى منها ، ثم تأتي الآية التي جاء فيها اسم (حيتان) لتبيّن أن الله تعالى أنعم على هذه القرية بنعمة عظيمة وهى أنها حاضرة البحرة، أي مجاورة للبحر ميسر على أهلها الصيد، وكان مِن لوازم هذا التيسير أن يُمنعوا (يحرّم عليهم) الصيد يوم السبت ليدركوا نعمة سهولة الصيد بقية الأيام ، لكن أهل هذه القرية لم يصبروا على ذلك .

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ٦٩٤/٣

والآية التالية لهذه الآية تذكر أن هناك مَن صَبَر على إرشاد المخطئين وهناك مَن لم يصبر على تقديم النصح لهم ، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٤]، فهذه الآية التي تتحدث عن مَن لم يصبر على وعظ العصاة تماثل الحديث عن يونس عليه السلام مع قومه .

ويذكر السياق عقاب هذه الطائفة العاصية من اليهود ، وهو جعلهم قردة، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٦]، ولعلّ في هذا العقاب مناسبة لجنس المعصية ، فالمعصية كانت نفاد صبر أهل هذه القرية وتنقلهم للصيد يوم السبت في البحر ولم يظلوا مكانهم يوم السبت دون صيد، فعوقبوا بأن صاروا قردة، وهذا الحيوان خاصة معروف بكثرة حركته ، فهو لا يمكث على حال ثابتة ، فكأن عدم صبرهم وعدم مكثهم يوم السبت جزاؤه كثرة الحركة دون مكث أو صبر على حالة واحدة ، وارتباط هذا العقاب بهذه المعصية هو ما جاء في سورة البقرة أيضًا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [البقرة:٦٥]، وهو ما يؤكد أن عدم الصبر بالمكث يوم السبت عقابه التحوّل إلى هذا الحيوان المعروف بعدم الصبر، وهو أيضًا يؤكد دلالة نفاد الصبر في سياق اسم (حيتان) .

ويلاحظ أن نفاد صبر أهل القرية حاضرة البحر كان له دافع قوي يُفهم من وصف حال الحيتان يوم السبت بوصف (شُرَّعًا) فهذا اللفظ يصوّر منظر الحيتان في البحر وما كانت تثيره من مغريات ودوافع لفعل المُحرَّم وعدم تحمّل الصبر في ترك الصيد يوم السبت ، وذلك لا يبرر الخطأ فالإيمان يقوي عزيمة الصبر أمام هذه المغريات .

ففي الآيات التي ورد فيها اسم (حيتان) نجد دلالة نفاد صبر أهل هذه القرية، ونفاد صبر بعض من لم يشاركوهم المعصية، فتخلّوا عن وعظ قومهم .

فاسم (حوت) استعمله القرآن الكريم طعامًا لموسى عليه السلام في رحلته للخضر التي أظهرت له عجزه عن شديد الصبر ، وحِوَاءً ليونس عليه السلام إذ

ذهب مغاضبًا فقدَ صبره ، وصيدًا شُرَّعًا يوم السبت لم يصبر على فواته أهل القرية، والاسم بذلك جاء مع لزوم دلالي هو دلالة نفاد الصبر لوجود دافع قوي، وهو ما يترتب عليه اللوم والمؤاخذة .

• **نون :**

اشترك اسم (نون) مع اسم (حوت) في الحديث عن قصة يونس عليه السلام وبقائه في بطن الحوت ، إلا أن القرآن الكريم فرّق بين الاسمين دلاليًا ، فجاء مع اسم (نون) بدلالة الاستجابة ليونس عليه السلام وتكريمه لتسبيحه ، يقول تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۡجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٧ -٨٨]، فاسم (نون) مرادف لاسم (حوت) لأنه يدل على الحيوان نفسه الذي التقم يونس عليه السلام ، لكن القرآن الكريم يستعمل كل اسم منهما مع دلالة تغاير الآخر ، وهو ما يعدّ لزومًا دلاليًا لكل اسم ، وهذه التفرقة الدلالية بين الاسمين لاحظها الزركشي والسيوطي ، حيث ذهب كل منهما إلى أن (ذا النون) أشرف لقبًا من (صاحب الحوت) يقول الزركشي: ((فالإضافة بـ (ذي) أشرف من الإضافة بـ (صاحب) ولفظ (النون) أشرف من الحوت))[1] ويقول السيوطي: ((فإنه حين ذكر في معرض الثناء عليه أتى بـ (ذا) ... وليس في لفظ (الحوت) ما يشرفه بذلك ، فأتى به و(صاحب) حين ذكره في معرض النهي عن اتباعه))[2] فهذا التحليل البلاغي الذي يقدّمه السيوطي هو التحليل البلاغي في البحث عن اللزوم الدلالي لكل اسم ، فلا توجد تفرقة لغوية بين اسم (حوت) واسم (نون) تقول بأن الأول في مقام النهي والتوبيخ، والثاني في مقام الثناء ، بل هو استعمال خاص بالقرآن الكريم الذي جاء باسم (حوت) مع النهي عن فقدان الصبر مثلما حدث من يونس عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ

(١) الزركشي، البرهان ، ١/ ١٦٢
(٢) السيوطي، الإتقان ، ١٩٦/٢

لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ [القلم:٤٨]، وجاء باسم (نون) مع ذكر صيغة دعاء يونس عليه السلام: (لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) ومع التصريح بالاستجابة والنجاة من الله تعالى.

ومما يؤكد على أن اسم (نون) جاء هنا مع دلالة التشريف والثناء استعمال القرآن الكريم لهذا الاسم في مقام القسم الذي يدلُّ على التعظيم والاستحسان ، يقول تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (القلم:١) وقد ذكر ابن كثير تعدد الآراء في معنى (نون) فقيل إنها حرف من الحروف المقطعة الدالة على عظم القرآن الكريم وإعجازه، وقيل إنها اسم للحوت أو اسم للدواة أو اسم للوح من نور[١]، وذكر ابن منظور تلك المعاني لاسم (نون) وزاد عليها:((النون شفرة السيف))[٢] ويذكر الكاشاني أنّ معنى اسم (نون) في اصطلاحات الصوفية: ((العلم الإجمالي في الحضرة الأحدية ، والقلم حضرة التفصيل))[٣] أي أن المقصود باسم (نون) علم الغيب ، وهو المقصود من تفسير النون بالدواة ، فعلم الغيب كالدواة يأخذ منها القلم بالتفصيل في كتابة ما سيكون ويطلعنا الله تعالى عليه بحصوله ، ومعنى الغيب والخفاء موجود في تسمية يونس وهو في بطن الحوت باسم (ذا النون) لأنه عليه السلام كان متخفيًا في غيب بطن الحوت وغيب البحر ، فاسم (نون) في استعمال القرآن الكريم له مرادفا لاسم (حوت) يحمل دلالة الخفاء والغيب وهى أكثر مناسبة لمقام الثناء والتشريف الذي جاء فيه اسم (نون) من اسم (حوت) الذي يدل على الاحتواء الحسي أي السجن الحسي ، ولا يفيد إلا اسم الحيوان .

فإذا كان اسم (حوت) لازمته دلالة نفاد الصبر واللوم عليه، فإن اسم (نون) لازمته دلالة التشريف ، سواء كان من ذكره في مقام الثناء على يونس وذكر تسبيحه ، أو من قسم الله تعالى باسم (نون).

• حيّة : مع (ثعبان)

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١٨/٧
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نون) ٤٢٩/١٣
(٣) الكاشاني، اصطلاحات الصوفية، ١١٣

خنزير

جاء اسم (خنزير) خمس مرات في القرآن الكريم ، أربع مرات منها في تحريم أكل لحم الخنزير، ومرّة واحدة في بيان عقوبة الله تعالى لفئة من اليهود إذ جعلهم خنازير ، ونجد في هذه المواضع الخمسة لزومًا دلاليًا للاسم وهو ما يلاحظ في دراستها كما يلي :

أولاً : مواضع تحريم أكل لحم الخنزير:

وقد جاء أول هذه المواضع في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [البقرة :١٧٣ - ١٧٤]، والحديث في هذا الموضع عن تحريم أكل لحم الخنزير يقترن بالحديث عن غضب الله تعالى على اليهود الذين يأكلون الحرام في بطونهم ، يقول ابن كثير:((﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعنى اليهود))[1] وقد جاء هذا الوعيد لهم في السورة نفسها مع وصف أكلهم المال الحرام، يقول تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة:٧٩]، وهي في سياق الحديث عن أفعال اليهود .

وجاء الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ [المائدة:٣]، وقد جاء هذا التحريم للحم الخنزير في سياق يتحدث عن

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٢٤٤

جواز الأكل من طعام أهل الكتاب ، ثم تتوالى الآيات في سورة المائدة في حديثها عن بني إسرائيل (اليهود) ونقضهم العهود وتحريفهم لكلام الله تعالى ، يقول سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ﴾ [المائدة:١٣]، والحديث هنا عن تحريفهم للكلم عن مواضعه مثيل لما جاء في سورة البقرة من شرائهم بآيات الله تعالى ثمنًا قليلاً ليأكلوا في بطونهم نارًا ، وهذا الذي يأكلونه هو ماوصفته سورة المائدة في أكثر من موضع بالسحت ، يقول تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ﴾ [المائدة:٤٢]، فمع تكرار هذا الوصف لهم جاءت صيغة المبالغة (أكّالون) للدلالة على ما هم عليه من كثرة أكل الحرام ، وللتأكيد على لصوق هذه الصفة بهم .

وجاء الموضع الثالث في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٤٥]، وهذا التحريم للحم الخنزير جاء مقترنًا بالحديث عن اليهود وتحريم جزء من الطعام للتضييق عليهم جزاءَ بغيهم أي ظلمهم، يقول تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام:١٤٦]، فالسياق يتحدث عن ظلم اليهود ، وتذكر سورة الأنعام في موضع آخر إخفاء كثير مما أنزله الله تعالى في التوراة ، يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ [الأنعام:٩١]، وهو نوع من أنواع الكذب وتحريف الكلم الذي أنزله الله تعالى ، وهو ما جاء ذكره في المواضع السابقة ، وهو ظلم يندرج في حديث هذا الموضع في سورة الأنعام عن بغي اليهود الذي كان جزاؤه التضييق عليهم بالتحريم .

وجاء الموضع الرابع في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [النحل:١١٥]، ويقترن أيضًا هذا التحريم للحم الخنزير بالحديث عن اليهود وظلمهم ، يقول تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل:١١٨]، فهذا الموضع في سورة النحل يشير إلى الموضع السابق في سورة الأنعام ، حيث جاء فيه ما حرّمه الله تعالى على اليهود ، كما أن الموضعين يتحدثان عن الافتراء على الله تعالى كذبًا في صورة التحريم والإباحة دون اتباع ما أنزل الله تعالى ، فجاء ذلك في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام:١٤٤]، وجاء في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل:١١٦]، ففي كلا الموضعين جاء مع تحريم أكل لحم الخنزير ، الحديثُ عن اليهود وما حُرّم عليهم وظلمهم ، والحديث عن الكذب على الله تعالى ، وهو مثيل لما جاء في موضع سورة البقرة وموضع سورة المائدة من اقتران تحريم أكل لحم الخنزير بالحديث عن اليهود وظلمهم وأكلهم للحرام وتحريفهم لما أنزل الله تعالى .

ثانيًا : عقوبة فئة من اليهود بتحويلهم خنازير :

وجاء هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة:٦٠]، وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي تحدّث عن عقوبة جعل فئة من اليهود خنازير ، إذ جاء الحديث

عن جعل فئة منهم قردةً في موضعين آخرين مقترناً بالذنب وهو اعتداء أهل القرية حاضرة البحر بالصيد يوم السبت ، وذلك في سورة البقرة الآية (٦٥) وسورة الأعراف الآية (١٦٦) وقد سبق الحديث عن ذلك في دراسة اسم (حوت) وقد ذكرتُ أنه من الممكن وجود مناسبة بين ذنب فقدان الصبر بصيد يوم السبت وعقوبة التحوّل لقردة ، لأن القردة لا تصبر على حالة واحدة فهي كثيرة الحركة ، أما عقوبة جعل فئة من اليهود خنازير ، فلم ترد إلا في سورة المائدة ، وإذا نظرنا إلى سياق هذا الموضع نجد أنه يؤكد وصف هؤلاء العصاة بأكلهم السحت ، يقول تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المائدة:٦٢]، ولم يرد لفظ (السبت) إلا في سورة المائدة مع وصف أكل اليهود للسحت وذلك ثلاث مرات في الآيات (٤٢، ٦٢ ، ٦٣) فعقوبة تحويل هؤلاء العصاة لخنازير لم ترد إلا في سورة المائدة ، وقد جاءت مقترنة بأكل السحت، وهو ما لم يرد أيضًا إلا في هذه السورة ، وذلك يدل على وجود علاقة بين عقوبة تحويلهم إلى خنازير ، وذنب أكلهم السحت ، فهذه العقوبة جعلت لذلك الذنب، كما جعلت عقوبة تحويل فئة من اليهود إلى قردة لذنب الاعتداء في السبت ، ولعل اقتران تحويل فئةٍ من اليهود إلى خنازير بذنب أكل السحت جاء لوجود شبه بين حال من يأكل السحت وهو الرجس النجس معنويًا بحال الخنزير الذي من طبعه أكل القاذورات النجسة حسًّا ، فهناك مناسبة بين الذنب والعقوبة .

وبذلك يلاحظ أن اسم (خنزير) هنا في هذا الموضع اقترن بأكل الحرام (السحت) والحديث عن اليهود ، ومن أكل الحرام هو أكل المال من الكذب على الله تعالى والافتراء بتحريف أحكامه، وهو ما تحدثت عنه آيات سورة المائدة في حديثها عن رغبة اليهود إخفاء حكم التوراة في الحدود والقصاص عند رسول الله ﷺ ، رغبة منهم في حكم أخفَّ من حكم التوراة وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا

ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

[المائدة: ٤٤]، فمِن أكل السحت تحريف أحكام الوحي لعرَض الدنيا .

فاسم (خنزير) جاء في أربعة مواضع في تحريم أكل لحم الخنزير على المسلمين، وقد اقترن في هذه المواضع بالحديث عن اليهود وأكلهم الحرام بالكذب على الله تعالى وتحريف آياته، وجاء اسم (خنزير) في الموضع الخامس في بيان عقوبة فئة من اليهود لأكلهم السحت وذلك بأكلهم المال الحرام من تحريف آيات الله تعالى وأحكامه ، فمع اختلاف المضامين يأتي لزوم دلالي واحد ، إذ لا توجد علاقة في الأصل بين الحديث عن تحريم أكل لحم الخنزير على المسلمين ، والحديث عن اليهود وأكلهم الحرام والذين كانت عقوبة فئةٍ منهم أن جعلوا خنازير لأكلهم الحرام.

فالدلالة الملازمة لاسم (خنزير) هي دلالة الحديث عن بغي اليهود ، وأكل الحرام، والافتراء على الله تعالى في أحكامه وحدوده ، واللزوم الدلالي يفيد الربط بين تحريم أكل الحرام على المسلمين وعقوبة الذين أكلوا الحرام من اليهود .

خيـــل (جياد – عاديات)

جاء اسم (خيل) خمس مرات في القرآن الكريم ، ونجد عدة دلالات ملازمة للاسم في كل موضع، وذلك كما يلي:

الموضع الأول: الخيل المسوّمة المزينة للناس في سورة آل عمران:

حيث جاء اسم (خيل) في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران:١٤-١٥]، وفي هذه الآيات توجد هذه الدلالات :

١- الخيل هنا تؤدي عملاً نفسيًا وهو متعة الناس هنا ، فهي للزينة كما تصرّح الآية ﴿زُيِّن﴾ وكما يفيده لفظ (مسوّمة) الذي يفسره ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما بقوله ((الحِسان))[1] فهذه الخيل جاءت في سياق استعمالها للزينة .

٢- ويلاحظ كذلك أن هذه الخيل بوصفها المذكور في الآيات لا يقصد بها وصف استعمالها في القتال ، فالآيات لا تفيد وصف هذه الخيل حال التحام الجيشين واحتدام المعركة أو تأهبها للقتال ، ومع أن الآية التي قبل هذه الآية الوارد فيها اسم (خيل) تتحدث عن التقاء فئتين في ميدان القتال، يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران:١٣]، إلا أن اسم (خيل) لم يأتِ بوصفه متواجدًا في ميدان القتال للجهاد،

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ١٣.

وإنما جاء بوصفه زينة للناس من متاع الدنيا الزائل ، وهو ما ينافي كون الخيل للجهاد في سبيل الله تعالى، فلم يأتِ وصف الخيل حال قتالها .

٣- والآيات تفيد أن هناك سبيلين متقابلين ، السبيل الأول هو الانسياق وراء ما زين للناس من حب الشهوات ، والسبيل الآخر هو الإقبال على ما عند الله تعالى من جنات، وهو سبيل الله تعالى القائم بالقسط (العدل) كما جاء وصفه في السياق، ففي الآيات سبيلان متقابلان .

٤- نجد ذكر الملائكة في سياق هذا الموضع تصريحًا وضمنًا ، فأما التصريح بذكر الملائكة عليهم السلام فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨]، وجاءت الإشارة إلى الملائكة في مضمون الآيات من أمرين ، الأمر الأول من ذكر تأييد الله تعالى بنصره للمقاتلين في سبيله في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ ﴾ [آل عمران:١٣]، وهذا التأييد يكون بإرسال الملائكة جنودًا للمؤمنين ، وهو ما حدث في غزوة بدر وتحدثت عنه السورة نفسها ، والأمر الثاني الذي يشير إلى الملائكة هو وصف الخيل بالمسوَّمة ، وهو الوصف الذي جاء في السورة نفسها للملائكة الكرام في تأييدهم للمؤمنين في غزوة بدر يقول تعالى: ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران:١٢٥]، فالآيات التي جاء فيها اسم (خيل) جاء فيها ذكر الملائكة بوصفهم يشهدون بالوحدانية مع أولي العلم ، وجاءت الإشارة إلى صفتهم في تأييدهم للمؤمنين.

الموضع الثاني: الخيل للركوب والزينة في سورة النحل:

فقد جاء اسم (خيل) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النحل:٨- ٩]، ونجد في هذا الموضع هذه الدلالات:

١- استعمال الخيل للزينة وهو ما تصرّح به الآية.

٢- الآية لاتصف الخيل حال استعمالها في القتال وتناحر الجيشين .

٣- وفي هذا الموضع نجد الحديث عن سبيلين متقابلين ، الأول هو سبيل الخير والعدل ، ووصفه في الآية أنه السبيل الذي قصد به وجه الله تعالى ، أو أنه سبيل القصد أي الاعتدال ، أما السبيل الآخر فهو سبيل الجَوْر أي الظلم ، بما يشمله الظلم من ظلم في حق الله تعالى بالشرك ، أو ظلمٍ في حق العباد ، فالآيات تصف سبيلين متقابلين .

٤- والآيات التي تسبق هذا الموضع في مفتتح السورة تذكر اسم الملائكة بوصفهم رسل الهداية للناس ، يقول تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل:١ -٢]، وتتوالى الآيات بعد الآية التي ورد فيها اسم (خيل) ليأتي الحديث عن الملائكة بأسلوب شبيه لأسلوب الآيات في مفتتح السورة ، يقول تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ [النحل:٣٣]، وقبل هذه الآية جاء وصف احتفاء الملائكة بالمؤمنين عند وفاتهم ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٣٢﴾ [النحل:٣٢]، وكذلك جاء وصف انتزاع الملائكة لأرواح الظالمين ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٨﴾ [النحل:٢٨]، فالسياق الذي جاء فيه اسم (خيل) في سورة النحل في مقام الامتنان، يتقدمه الحديث عن الملائكة المعذبين للكفار، الفرحين بالمؤمنين، فمع هذا الموضع جاء ذكر الملائكة وتأييدهم للمؤمنين.

الموضع الثالث: الخيل للرباط حال السلم في سورة الأنفال:

فقد جاء اسم (خيل) في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦٠-٦١]. ويلاحظ في هذا الموضع ما يلي من الدلالات:

١- استعمال هذه الخيل لأداء عمل نفسي، فهي لإرهاب العدو كما نصت الآية.

٢- والآية إذ تصف عمل الخيل بأنه إرهاب للعدو فإنها لاتصف الخيل حال قتالها واشتباكها مع العدو، بل إن اسم الخيل هنا جاء معه التأكيد على وصف الخيل حال عدم وجود قتال، إذ إنها خيل للرباط، أي لسد ثغور المسلمين، والاستعداد لرد عدوهم، وبهذا فسر الألوسي الآية الكريمة إذ يقول: ((وفي الآية إشارة إلى عدم تعيُّن القتال؛ لأنه قد يكون لضرب الجزية ونحوه، مما يترتب على إرهاب المسلمين بذلك عدو الله المخالفين لأمره سبحانه، وعدوكم المتربصين بكم الدوائر))[1] فالخيل هنا ليست في حال لقائها مع العدو، وهذا ما يناسب حديث الآيات قبلها عن معاهدة الكفار، ويناسب أيضًا حديث الآية التي بعدها عن قبول السلم إن جنح إليه الكفار، فحال السلم والمعاهدة الذي يتحدث عنه السياق يتطلب الإعداد المستمر للقوة ولرباط الخيل تحسبًا لخيانة مَن عاهدوا المسلمين.

٣- والسياق يتحدث بذلك عن سبيلين متقابلين، الأول سبيل الحرب ولقاء العدو، والثاني سبيل السِّلم والمعاهدة، وهما سبيلان متقابلان.

٤- وقد جاء هذا الموضع في سورة الأنفال مع حديث متكرِّر عن الملائكة ووصف نصرتها للمؤمنين، فالسورة تقصّ أحداث غزوة بدر، وتذكر إمداد الله تعالى للمؤمنين، والآيات التي جاءت قبل آية الأمر بإعداد القوة ورباط الخيل تؤكد على نصرة الله تعالى للمؤمنين بما لا يراه البشر، أي بالملائكة عليهم السلام يقول

(١) الألوسي، روح المعاني، ٢٦/١٠.

تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال:٤٨]، وكذلك تتحدث الآيات عن الملائكة في وصف تعقبهم للكفار عند موتهم، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠] الحديث عن ضرب الملائكة للكفار وثيق الصلة بأمر الله تعالى عبادة المؤمنين بإعداد القوة ورباط الخيل ، إذ يأتي هذا الأمر باتخاذ الأسباب (القوة ورباط الخيل) عقب الحديث عن نصر الله تعالى للمؤمنين بإمدادهم بالملائكة الذين يضربون الكفار في ساحة القتال ، يقول تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال:١٢]، ففي هذا الموضع يأتي الحديث عن الملائكة بوصف ضربهم للكفار وتأييدهم للمؤمنين.

الموضع الرابع: الخيل للغزو دون قتال في سورة الحشر:

حيث جاء اسم (خيل) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحشر:٦]، ونجد مع اسم (خيل) هنا هذه الدلالات :

١- استعمال الخيل في حصار بني النضير عندما قذف الله تعالى الرعب في قلوبهم فنزلوا من حصونهم ، وخرجوا من المدينة دون قتال ، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن

تَخۡرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر:٢]، فاستعمال الخيل في هذه الغزوة جاء مع حصول شعور نفسي وهو إرهاب العدو ، فكان الخيل من أسباب رعب العدو واستسلامهم دون قتال.

٢- تصرح الآية بنفي صفة القتال عن الخيل، إذ أفاء الله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين من غير أن يوجف المسلمون بخيل ولا ركاب، يقول ابن كثير: ((فالفيء كل مالٍ أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي : لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب))[1] فالآية تصرح بأن الخيل لم تنازل الأعداء فلم يحدث التحام بين الطرفين .

٣- ومن حديث الآيات عن غزوة بني النضير يظهر وجود سبيلين للنصر ، السبيل الأول هو إحراز النصر بالقتال والمبارزة وإراقة الدماء ، وذلك مثلما حدث في غزوة بدر ، وقد سمَّى القرآن الكريم الغنائم التي كانت فيها بالأنفال ، والسبيل الثاني هو إحراز النصر بالحصار والرعب دون قتال ، مثلما حدث في غزوة بني النضير ، وسمَّى القرآن الكريم الغنائم التي كانت فيها بالفيء ، يقول الرازي: ((ومعنى الآية أن الصحابة طلبوا من الرسول ﷺ أن يقسّم الفيء بينهم كما قسّم الغنيمة بينهم ، فذكر الله الفرق بين الأمرين ، وهو أن الغنيمة ما أتعبتم أنفسكم في تحصليها وأوجفتم عليها الخيل والركاب ، بخلاف الفيء فإنكم ما تحملتم في تحصيله تعبًا))[2] فهناك سبيلان هما سبيل النصر بالقتال وسبيل النصر بالرعب والحصار، وهما سبيلان متقابلان .

٤- وتذكر آية سورة الحشر التي جاء فيها اسم (خيل) تسليط الله تعالى رسله على أعداء المؤمنين (يسلط رسله) ويشير اسم (رسله) إلى تأييد الله تعالى للمؤمنين بإرسال الملائكة لهم فاسم (رسله) يطلق على الملائكة عليهم السلام كما هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ ﴾ [هود:٨١]، وقوله تعالى:

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٨/ ٤١
(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٩ / ٢٨٥

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر:١]، فإذا كان الرعب الذي قذفه الله تعالى على أعداء المؤمنين جندًا من جنود الله تعالى ، فإن اسم (رسله) يشير إلى الملائكة الذين يبعثهم الله تعالى لنصرة أنبيائه والمؤمنين على أعدائهم، وقد اقترن ذكر الملائكة بقذف الرعب في سورة الأنفال في مقام نصرة المؤمنين أيضًا، يقول تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال:١٢]، والآيات في سورة الحشر في حديثها عن غزوة بني النضير تتحدث عن وعود المنافقين لليهود بغلبتهم ونصرتهم ضد المسلمين ، لكن المنافقين خذلوا اليهود ونكصوا عن وعودهم ، وقد شبهتهم الآيات في سورة الحشر بالشيطان في تبرئه من مناصرة الكافرين ، يقول تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر:١٦]، وتبرُّؤ الشيطان هنا في سورة الحشر مع الحديث عن غزوة بني النضير يذكر بتبرّؤ الشيطان في سورة الأنفال عندما رأى الملائكة تؤيد المؤمنين ، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال:٤٨]، ففي سورة الحشر نجد تبرّؤ الشيطان من الكفار مثلاً لتبرّؤ المنافقين من اليهود في غزوة بني النضير ، وهو يشير إلى تبرّؤ الشيطان من الكفار عند رؤية الملائكة في غزوة بدر كما جاء في سورة الأنفال، فما جاء في سورة الحشر يشير إلى نصرة الملائكة للمؤمنين التي ألجأت الشيطان ومن يشبهونه (المنافقين) إلى التبرؤ من الكفار .

فاسم (الملائكة) لم يأتِ في سورة الحشر ، إلا أن حديث الآيات عن نصرة الله تعالى للمؤمنين ، وتسليط رسله ، وحديث السورة عن شعور الرعب الذي اقترن

الحديث عنه في سورة الأنفال بالملائكة ، وكذلك حديث السورة عن تبرّؤ الشيطان من الكفار الذي اقترن في سورة الأنفال برؤية الملائكة ، يدل على أن سياق الآيات في سورة الحشر يشير إلى نزول الملائكة لنصرة المؤمنين في حديث السورة عن غزوة بني النضير .

الموضع الخامس : خيل إبليس لمحاربة المؤمنين بالغواية والوسوسة لا بالقتال :

فقد جاء اسم (خيل) في سورة الإسراء بالإضافة إلى الضمير العائد على إبليس يقول تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء:٦٤-٦٥]، ويلاحظ في هذا الموضع هذه الدلالات :

١- الخيل هنا تقوم بعمل نفسي وهو التأثير بالغواية والوسوسة، فهي خيل الشيطان الذي وصف كيده بالضعف، ولا يملك إلا الغواية وتزيين الشهوات ودفع الإنسان للفتن وتلبيس الحق عليه.

٢- وبذلك لا توصف هذه الخيل بأنها مقاتلة في ميدان المعركة ، فعملها عمل شعوري كالزينة والرعب في المواضع السابقة ، ولم يأتِ وصفها حال القتال .

٣- الآيات تحدد سبيلين بعد هذه الغواية ، الأول هو سبيل الاستجابة لإبليس واحتناكه من يتبعه، والثاني هو سبيل صدّ هذه الغواية ، فلا يكون لإبليس سلطان على عباد الله المخلصين ، وهذان السبيلان متقابلان.

٤- والسياق يتحدّث عن الملائكة الذين أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام، فسجدوا ولم يفعلوا مثلما فعل إبليس إذ ناصب آدم العداء ، فالملائكة محبون لآدم، ويستغفرون له ولذريته المؤمنة، فذكر الملائكة في السياق في مقام تكريم آدم وحب الملائكة له.

ومن ذلك نجد أن اسم (خيل) في المواضع الخمسة لازمته دلالة أداء عمل نفسي (الزينة ، الرعب ، الغواية) ولم يوصف حال كونه في ساحة القتال يؤدي دوره في الإقدام والاعتراك مع العدو ، وجاءت مع اسم خيل دلالة وجود سبيلين متقابلين (زينة الدنيا وما عند الله تعالى من جنة، سبيل القصد المعتدل وسبيل الجور، الحرب والسلم، النصر بقتال والنصر بالحصار دون القتال، احتناك الشيطان أتباعه من ذرية آدم وعدم وجود سلطان له على عباد الله تعالى) وكذلك جاء اسم (خيل) مع

حديث السياق عن الملائكة بوصف نصرتهم للمؤمنين، وتأييد الله تعالى لعباده برسله من الملائكة.

ومع وجود هذا اللزوم الدلالي لاسم (خيل) نجد تنوّع الصيغ التي ورد بها الاسم واستعمال كل صيغة مع دلالة تختصّ بها عن بقية الصيغ، وذلك كما يلي:

١- صيغة المفرد المجرور المعرف بأل (الخيل) : وجاءت هذه الصيغة مرتين، مرة في سورة آل عمران ومرة في سورة الأنفال ، وكلتا السورتين تتحدثان عن غزوة بدر التي دار فيها القتال، فمع أن اسم (خيل) جاء بوصفه زينة في سورة آل عمران، وبوصفه للرباط في حال المعاهدة والسلم في سورة الأنفال ، إلا أن السورة تحدثت عن القتال فيما لا يرتبط باسم (خيل) المذكور في سياق آخر في السورة ، وهو يميز هذه الصيغة (الخيل) حيث يأتي وصفها للزينة وللرباط مع حديث السورة عن غزوة بدر .

٢- صيغة المفرد المجرور النكرة (خيلٍ): وجاءت هذه الصيغة في سورة الحشر مع الحديث عن غزوة بني النضير، مع وصفها بصفه سلب ﴿ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ﴾ [الحشر:٦]، فهذه الخيل توصف بعدم أداء العمل الذي كانت معدّة من أجله، كما اختصت هذه الخيل بتواجدها في غزوة بلا قتال.

٣- صيغة المفرد المجرور المضاف للضمير (بخيلِك): وجاءت هذه الصيغة بوصفها خيل الشيطان، فهي في سياق استعمالها في غواية بني آدم وعداء الشيطان لهم.

٤- صيغة المفرد المنصوب المعرف بأل (الخيلَ) : وهذه الصيغة التي جاءت في موقع النصب جاء مع وصف استعمال الخيل للركوب والزينة دون أن تتحدث السورة (سورة النحل) عن العداء والقتال .

فيلاحظ من ذلك أن صيغة المعرف بأل المجرورة (الخيل) تشترك مع صيغة المعرف بأل المنصوبة (الخيلَ) في وصفها بصفةٍ محببة (الزينة والرباط) مع تميز الصيغة التي في موقع الجر بمجيئها في سورة تتحدث عن غزوة بدر التي دار فيها القتال ، أما الصيغة التي في موقع النصب فقد جاءت دون حديث السورة عن القتال، وكذلك يلاحظ أن الصيغ التي جاءت في موقع الجر (الخيل ، خيلٍ ، بخيلِك) جاءت مع وجود دلالة العداء بين المسلمين وغيرهم ، وجاءت صيغة (الخيلَ) المنصوبة من غير وجود دلالة العداء ، وتميزت صيغة النكرة (خيلٍ) بالحديث عن غزوة لا قتال فيها، كما تميزت صيغة (خيلِك) بالإضافة إلى الشيطان واستعمال الخيل لغواية المؤمنين ، فهو خيل غير مشاهد لنا مثل بقية الخيل في المواضع الأخرى .

• جياد:

وقد جاء في القرآن الكريم اسم (جياد) مرّة واحدة وهو مرادف لاسم (خيل) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: ٣٠ – ٣٣]، واستعمال اسم (جياد) في هذا السياق يوضح وجوده مع دلالات تجعل استعماله مغايرًا لاسم (خيل) حيث جاء اسم (جياد) مع وصفها هبة من الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام ، وهو النبي الملك الذي أعطاه الله تعالى كثيرًا من المُلك والنعم التي لم توهب لغيره، فهذا النوع من الخيل نوع جاء مع ما يملكه سليمان عليه السلام من تسخير للطير والجان والشياطين ، فقد وهبه الله سبحانه وتعالى مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فالجياد نوع يتميز بقدرة وقوة وصفات خاصة تليق بهذا المُلك الذي سُخرت له دعائم القوة ومظاهر القدرة ، وهو ما يناسب صفة (صافنات) الدالة على اعتدال قوامها وهيئها القوية وتهيئها للقتال ، فإذا كان الخيل يستعمل زينة من شهوات الناس ، وسلاحًا مع المؤمنين لإرهاب عدوهم ، وغواية من الشيطان ، فإن الجياد أداة مُلك لأعظم من بُسط له الملك في الأرض .

وكذلك يغاير اسم (جياد) استعمال اسم (خيل) في عدم وجود دلالة أداء عمل نفسي عند استعمال اسم (جياد) فلم تذكر الآيات أنها للزينة أو لإرهاب العدو ، ويقول الرازي في تفسيره للآية التي جاء فيها اسم (جياد): ((إن سليمان عليه السلام احتاج إلى الغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجلائها ، وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس ، وإنما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه ، وهو المراد من قوله: (عن ذكر ربي)))[1] فلم تكن للجياد في ذاتها أثر نفسي عند سليمان عليه السلام ، ولم يكن شغوفًا بها أو بزينتها ، وإنما أراد بها الجهاد في سبيل الله تعالى ، فلم يأتِ اسم (جياد) مع دلالة أداء عمل نفسي ، كما لا نجد في الآيات دلالة

(١) الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٦ / ٢٠٧

وجود سبيلين متقابلين كما هو موجود مع اسم (خيل) وإنما تميز اسم (جياد) بدلالة استعمال الجياد أداة لمُلْك سليمان عليه السلام وهو المُلك الذي اتسم بمظاهر القوة والقدرة .

• العاديات :

وإذا كان القرآن الكريم لم يستعمل اسم (خيل) مع وصفه حال القتال والعَدْو في ساحة المعركة ، فإن القرآن الكريم استعمل في وصفه للخيل حال عَدْوها وإغارتها استعمال اسم (العاديات) دون استعمال اسم (خيل) في السياق، يقول تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ ﴾ [العاديات :١-٥]، فالرأي المشهور عند المفسرين أن هذه الآيات وصف للخيل المقاتلة في سبيل الله تعالى يقول الزمخشري: ((أقسمَ بخيل الغزاة تعدو فتضبح، والضبح صوت أنفاسها إذا عدون))[1] ويقول ابن كثير: ((يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله))[2] وقد ذكر الزمخشري وابن كثير أن هناك من فسر العاديات بالإبل في الحج من باب الاستعارة ، وهناك من قال أنها الخيل في الحج ، والأشهر أن المراد بها خيل الغزو، وأن يكون المراد بالعاديات خيل الغزو يناسب اشتقاق اسم (عاديات) من (عدا) ومنه يعدُو عدوًا بمعنى المجاوزة والسرعة، ومنه العداوة والاعتداء وهي معانٍ أنسب للغزو ، وهو ما يناسب بقية الصِّفات المذكورة في السورة أيضًا ، ويلاحظ هنا عدم استعمال اسم (خيل) مع هذا الوصف وهو ما يؤكد صحة اللزوم الدلالي لاسم (خيل) حيث لم يأتِ اسم (خيل) مع وصف الخيل حال القتال، وإنما مع أداء عمل نفسي ومع ما يفيد وصفها وقت عدم القتال بها، كوصفها حال المعاهدة والسلم ، أو وصفها بعدم قتالها في غزوة بني النضير، أو ذم الافتتان بزينتها ، والقرآن الكريم يؤكد أن استعمال

(١) الزمخشري، الكشاف ، ٤ / ٦٢٢
(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٨ / ٢٩٠

اسم (خيل) يأتي مع وصف الخيل حال عدم قتالها بأن استعمل اسم (عاديات) وصفًا للخيل حال الغزو والقتال دون ذكر اسم (خيل) في السياق، فاللزوم الدلالي مقترن مجيئه باستعمال الاسم ولا يأتي هذا الاسم في موضع تكون فيه دلالة مقابلة للدلالة الملازمة للاسم في مواضع استعماله.